ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Great Trek (The Great Migration) in South Africa in 1836, Causes and Consequences

Lecturer Dr. Usama Hemid Khalil

Tikrit University/ College of Arts

* *Corresponding author: E-mail* :
usama_hemid@tu.edu.iq

***Keywords*:**
Great Trek,
Boer,
Cape Town,
Natalia Republic,
Missionaries,
Colored

ARTICLE INFO

Article history:
Received 4 Jan. 2022
Accepted 17 Aug 2022
Available online 31 July 2023
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2023 COLLEGE OF Education for Human Sciences, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

The encroachment itself was not a new phenomenon in the history of South Africa from the late seventeenth century until the early twentieth century, but it was part of the gradual expansion across the borders, and the encroachment was different from the previous migrations or movements, and this encroachment differs in its quality and size from the expansion that It was witnessed by the previous two centuries, for the great march represented an emigration in large numbers, as it was organized and led, and that the creepers who moved in 1835, did not intend and did not wish to return to the Cape colony, they were hoping to establish a new homeland, where they would be able to conduct affairs Their lives were led by them, away from the domination of the British administration in South Africa, that this migration was behind various factors, so its facts and effects were very complex.

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.30.7.2.2023.14

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for

الزحف العظيم (الهجرة الكبرى) في جنوب افريقيا عام ١٨٣٦ الاسباب والنتائج

م. د. اسامة حيمد خليل/ جامعة تكريت/ كلية الآداب

الخلاصة:

لم يكن الزحف نَفْسه ظاهرة جديدة في تاريخ جنوب أفريقيا منذ أواخر القرن السابع عشر حتى بواكير القرن العشرين ، وإنما كان جزءاً من التوسع التدريجي عبر الحدود ، وقد كان الزحف مختلفاً عن الهجرات أو التحركات السابقة ، كما أن هذا الزحف يختلف في نوعيته وحجمه عن التوسع الذي شهده القرنان السابقان ، فقد كان الزحف العظيم يمثل هجرة بأعداد كبيرة ، كما كان منظَّماً

وله قيادة ، وأن الزاحفين الذين تحركوا عام ١٨٣٥ ، كانوا لا ينوون ولا يرغبون في العودة لمستعمرة الكيب ، لقد كانوا آملين في تأسيس وطن جديد ، حيث يكون في إمكانهم تسيير أمور حياتهم بقيادة منهم ، بعيداً عن هيمنة الإدارة البريطانية في جنوب أفريقيا ، أن هذه الهجرة كانت تكمن خلفها عوامل مختلفة ، لهذا كانت وقائعها وتأثيراتها في غاية التعقيد

الهجرة الكبرى البوير الكيب تاون جمهورية الناتال الارساليين الملونيين

المقدمة :

يعد تاريخ جنوب أفريقيا ومنذ أواخر القرن السابع عشر حتى بواكير القرن العشرين العديد من الهجرات والزحف مر عبر عصور مختلفة ، وكان جزءاً من التوسع التدريجي عبر الحدود ، وكان الزحف مختلفاً عن الهجرات أو التحركات السابقة ، كما أن هذا الزحف أختلف في نوعيته وحجمه عن التوسع الذي شهده القرنان السابقان ، فقد كان الزحف العظيم يمثل هجرة بأعداد كبيرة ، كما كان منظَّماً وله قيادة ، وأن الزاحفين الذين تحركوا عام ١٨٣٥ ، كانوا لا ينوون ولا يرغبون في العودة لمستعمرة الكيب ، فقد أملوا بتأسيس وطن جديد ، اذ يكون في إمكانهم تسيير أمور حياتهم بقيادة منهم ، بعيداً عن هيمنة الإدارة البريطانية في جنوب أفريقيا ، أن هذه الهجرة كانت تكمن خلفها عوامل مختلفة ، لهذا كانت وقائعها وتأثيراتها في غاية التعقيد .

ان الهجرة الكبرة موضوع يستحق الدراسة ، وتم تقسيم هذا البحث عن اسبابها ونتائجها ، وقسم البحث الى اسباب طويلة الامد والتي قسمت الى اسباب مباشرة واسباب غير مباشرة.

ويتابع الباحث عمليه الزحف الكبير والحوادث التي لاقت المهاجرين وكذلك الاحداث التي جرت خلال تلك الهجرة من اعتراضات من قبل السكان الاصليين للمنطقة وعن التقسيمات الادارية للمناطق .

كذلك يتطرق الباحث الى عدة نتائج مهمة كانت قد نتجت عن تلك الهجرة واثرت تأثير كبير في التغيير الديمغرافي للمنطقة وسير الحياة السياسية للبوير وتعاملهم مع البريطانيين.

لعله من المناسب أن نقتبس في مستهل دراستنا لهذا الموضوع من ملاحظات بيت رتيف Piet Retief أحد قادة الهجرة :

" وطالما رغبنا أن نقف مرفوعي الرأس في تقدير أخوتنا ، فليكن معلوماً أننا – بالإضافة لأمور أخرى – مصممون أينما ذهبنا على تحقيق مبدأ الحرية العادل ، ولكن بينما سنضع في اعتبارنا ألّا يكون أحد في وضع العبودية ، فإننا عازمون على استمرارية التنظيمات و(القوانين) التي تمنع الجريمة وتُبقي العلاقات واضحة بين السيد والخادم ، إننا لن نتحرّش بأي شعب ، ولن نسلب أحداً أقل القليل من ممتلكاته ، ولكن إذا هوجمنا فسوف يكون لنا كل الحق في الدفاع عن انفسنا بأقصى ما نملك من قدرة ، إننا نرغب أن يكون معلوماً للقبائل الأفريقية أن غايتنا ورغبتنا هي أن نعيش في سلام وصداقة معهم ، لقد هجرنا هذه المستعمرة مع وعد أكيد مؤداه أن الحكومة البريطانية لن تفعل أكثر مما فعلت لملاحقتنا ، وأنها سوف تسمح لنا بحكم أنفسنا دون تدخل منها في شؤوننا مستقبلاً " (E. A. Walker, 1948) .

ومن خلال هذه الملاحظات القليلة لواحد من القادة الرئيسيين لحركة الهجرة الكبرى يتضح أن هذه الهجرة كانت تكمن خلفها عوامل مختلفة ، لهذا كانت وقائعها وتأثيراتها في غاية التعقيد ، ومن بين المسببات الكبرى للهجرة يمكن تمييز العوامل التي كانت فاعلة مؤثرة منذ الاستقرار الأوربي في مستعمرة الكيب تاون وطوال المدة حتى قبيل الهجرة حيث كثرت المظالم ، ولم يكن الزحف نَفْسه ظاهرة جديدة في تاريخ جنوب أفريقيا منذ أواخر لقرن السابع عشر حتى بواكير القرن العشرين ، وإنما كان جزءاً من التوسع التدريجي عبر الحدود ، فلم تكن الحدود ثابتة أبداً في أي وقت من الأوقات طوال هذه الفترة (وير ، ١٩٩٨) .

اولا: المسببات طويلة الأمد :

في البداية نبدأ بالمسببات طويلة الأمد ، حيث سنتهتم بالعوامل التي تفاعلت عبر السنين فجعلت من الممكن – وأحياناً من الضروري – بالنسبة للمستوطنين البيض أن يمدوا ويوسّعوا منطقة استيطانهم الأساسية بالهجرة إلى مناطق جديدة ، ففي بعض الأحيان كان المستوطنون – خاصة أولئك القاطنين على الحدود – يوسعون المنطقة التي يشغلونها ببساطة ، وقد كان من المحتمل أن يُنظر لهذا على أنه عملية توسيع حدودية تتم لصالح المستعمرة بتدريج وإصرار ، مع أن الحدود قد وضعت كحد للهجرة من منطقة لأخرى ، وقد كان هذا المد (الزحف) الحدودي يصل – ربما – لبضعة أميال (طاهر، ١٩٧٥) .

أن إمكانية الحصول على مساحات غير محددة من الأراضي ، قد شجعت المستوطنين على الاستحواذ على عقارات وممتلكات عديدة ، وعلى هذا ففي عام ١٨٣٦ عندما حدث الزحف العظيم (الهجرة الكبرى) كان المستوطنون قد ألفوا من زمن مسألة الزحف هذه ، فقد كانوا يمتلكون روح المغامرة ، وتعودوا على الهجرة – أحياناً من مستعمرة الكيب تاون إلى المناطق المجاورة ثم العودة مرّة أخرى للمستعمرة – وبعبارة أخرى كان اتساع المنطقة وقلة عدد المستوطنين من العوامل التي جعلت البوير مهاجرين بطبعهم (وير ، ١٩٩٨) .

وقد قوى من هذا الانتحاء (الهجرة) الخاص لدى البوير أنهم في الغالب كانوا رعاة ، وبالتالي أكثر بداوة من المقيمين ، فقد كانوا يهاجرون بشكل متكرر ، فكلما غدت المراعي القديمة فقيرة قليلة الكلأ ، كلما كان حصولهم على مراع أخرى في منطقة أخرى أمراً ضرورياً ، فتداخل عوامل ثلاثة هي – أسلوب الحياة ، والزراعة الرعوية ، واتساع المنطقة والميل للهجرة نتيجة كل هذا – كل هذه العوامل مهدت الطريق عندما أتى الوقت المناسب ، لهذا الحدث الجَلَلْ ، ونعني به الزحف العظيم (الهجرة الكبرى) (E. A. Walker, 1948)

ورغم أهمية هذه العوامل الطويلة الأمد في إحداث الزحف العظيم ، إلا أنه كان ثمة أحداث متتابعة هي التي أدت مباشرة لهذا الزحف ، لكن قبل أن نتعرض لبعض العوامل المباشرة لهذا الزحف ، لابد من ان نشير إلى أنه كان مختلفاً عن الهجرات أو التحركات السابقة ، كما أنه أختلف في نوعيته وحجمه عن التوسع الذي شهده القرنان السابقان ، فقد مثل هجرة عظمى بأعداد كبيرة ، كما كان منظَّماً وله قيادة ، كما أن الزاحفين – بعكس الهجرات السابقة – الذين تحركوا عام ١٨٣٥ ، كانوا لا ينوون ولا يرغبون في العودة لمستعمرة الكيب ، لقد كانوا آملين في تأسيس وطن جديد ، اذ يكون في إمكانهم تسيير أمور حياتهم بقيادة حكومة منهم ، بعيداً عن هيمنة الإدارة البريطانية في جنوب أفريقيا (فليفل، ١٩٩٨) .

١ – المسبِّبات المباشرة :

بينما كان الزحف وكثيرون من الزاحفين (المهاجرين) في حاجة إلى بواعث ودوافع أكثر وضوحاً ودقة لينضموا للزحف ، كان هناك من زحفوا (هاجروا) ببساطة دون بحث عن دوافع واضحة ، وذلك أنهم كانوا راغبين في الهجرة أو لأن الهجرة أو الزحف كان بِدْعة الوقت ، فعندما

رأوا جيرانهم وأقاربهم وأصدقائهم يهاجرون قرروا هم بالتالي حزم امتعتهم والهجرة ، كما أن آخرين هاجروا لأن فكرة الهجرة كانت بالنسبة لهم فاتنة ساحرة ، فهي رحلة للمجهول ، فكثير من الناس يحبون المغامرة وهم على هذا يهاجرون في ظل أي ظروف ، سواء حاق بهم ظلم أو لم يحق (هريدي، ١٩٨٣)

أ- التميز العنصري :

لقد كان البوير في طبعهم واتجاههم المتطرف يحتم قيام الزحف أو الهجرة الكبرى ، إذ كانوا يعتقدون أنهم جنس مختار ، أي أنهم شعب الله اصطفاه لنفسه ، لأداء واجب واضح إزاء الله ثم إزاء البشرية لحفظ تراثهم وحضارتهم وثقافتهم ، لذا كانوا ملتزمين إزاء أنفسهم بحفظ جنسهم والنأي به عن الاختلاط بالأجناس الأخرى وبالذات الأجناس الملوّنة ، ولهذا فقد كان البوير ينظرون للزحف العظيم على أنه أمر يتيح لهم الفرصة للاحتفاظ بنقاء عنصرهم وثقافتهم وذلك بإيجاد وطن جديد في منطقة جديدة يديرونه ويحكمونه بأنفسهم ، لهذا اعتقد البوير أنهم بانضمامهم للزحف إنما يؤدون رسالة مقدسة لحفظ شعب الله المختار من التلوث باختلاطه بالعناصر المنحطة والعناصر غير المسيحية (خليل، ٢٠٢٠) ، وبسبب هذه المعتقدات كانوا يمتعضون من أية محاولة قامت بها الحكومة لإدخال إجراءات من شأنها تحسين أوضاع الملوّنين ، فقد عارضوا بشدة محاولات الحكومة لتقديم مزيد من الحرية والحقوق المدنية للهوتنتوت (وير ، ١٩٩٨) والمولّدين ، وزاد غضبهم على الحكومة بسبب قضية تحرير العبيد ، إذ كانت هذه الإجراءات تعني في رأي البوير محاولة من الحكومة لمساواتهم بالملونين (Pillay, 2019) والعبيد (خليفة، ١٩٩٢) .

ب- صبغ المنطقة بالصبغة البريطانية :

منذ عام ١٨٢٠ كانت المستعمرة ببساطة مستوطنة للبوير تحكمها بريطانيا ، وقد بدأ عمليات صبغ المنطقة بالصبغة البريطانية في عام ١٨٢٢ بعد وصول أول فوج من المستوطنين البريطانيين الذين نظر إليهم البوير أيضاً برعب وخوف واستياء ، أمّا بعد قدوم المستوطنين البريطانيين فكان لابد للحكومة أن تحمي مصالحهم ، وبعبارة أخرى لقد تزايد تأثير المستوطنين البريطانيين على السياسة الرسمية للحكومة ، وقد وجد هذا التأثير فرصاً للتعبير في أشكال متعددة

، فعلى سبيل المثال ، تم إدخال العملة البريطانية (الجنيه) كعملة معتمدة في المستعمرة لتسد مسد العملة القديمة الرانك ، والأكثر أهمية من هذا هو التغييرات التشريعية التي كان من بينها إدخال نظام الموظفين القضائيين البريطاني وإبطال النظام الهولندي القديم عام ١٨٣٤ (سعودي، ١٩٨٠) .

وبصرف النظر عن كون النظام الجديد كان غير ملائم وظهرت فيه عدة مشاكل اثناء التطبيق ، إلّا أن سخط البوير لم يكن راجعاً لهذا ، وإنما كانوا ينظرون للمسألة على أنها اقحام لنظام قضائي البريطاني كان مكروهاً منهم لأنه أجنبي عنهم ، دخيل عليهم أزاح جانباً من التراث الثقافي الهولندي الذي ينظر له البوير باعتبارهم مسؤولين مسؤولية كاملة عن المحافظة عليه ، وإذا كان البوير قد سخطوا من هذه الإجراءات فإن سخطهم قد تضاعف بسبب قضية اللغة ، فمنذ عام ١٨٢٢ شجعت الحكومة استخدام الإنكليزية كلغة رسمية للمستعمرة ، وتم التحول الكامل رسمياً للبريطانية عام ١٨٢٨ (فليفل ا.، ١٩٨٠) .

لم تكن الحكومة بدعاً في هذا ، لاسيما وأن كل القوى الاستعمارية تستخدم لغاتها للأغراض الرسمية في مستعمراتها ، ولكن كما سبق أن لاحظنا ، فأن البوير كانوا يعارضون بشدة كل شكل من أشكال الثقافة الغريبة عنهم ، وكل نفوذ وافد لهم ، إذ كانوا بدلاً من هذا يفضلون الاحتفاظ بعاداتهم وحضاراتهم وثقافتهم فلا عجب أن نظروا لإدخال اللغة الإنكليزية على أنه عملية إثارة واستفزاز متعمّدة من قِبَل السلطات الانكليزية ، وكان هذا أحد أهم المظالم التي أسهمت في انبثاق حركة الزحف العظيم ، ولم تكن المسألة عزّة وطنية فحسب ، وإنما لم يكن من السهل على شعب عريق وسكان ريفيين أن يتحوّلوا رسمياً للبريطانية ، لقد كان هذا يحتاج لوقت أطول حتى يتسنى لهم تعلم اللغة الإنكليزية الرسمية حتى ولو كرهوا التحدث بها لكونها أجنبية عليهم ، وعلى هذا فما من شك أن المستوطنين الهولنديين لم يكونوا راضين عن هذا التغيير (سعودي، ١٩٨٠).

ج- صراع البوير مع الإرساليين بسبب الملونين :

بصرف النظر عن المظالم التي أشرنا إليها سابقاً ، كان البوير ساخطين لأن السياسة الرسمية للحكومة وسياسة الإرساليين كانتا تتعارضان بحدّة مع وجهة نظرهم في معاملة الملونين ،

فبينما كان الإرساليون يبشرون من خلال الكتاب المقدس بالحب والمساواة لكل الناس وبضرورة حماية حقوق كل البشر ، كان البوير يعتقدون ويطبقون عكس هذا تماماً (افندي، ١٩٩٠) .

لقد شعر البوير أن أية محاولة لإزالة العوائق أمام العبيد والهوتنتوت سوف تخلق وضعاً خطيراً بالنسبة لهم ، وقد زاد تخوفهم باعتماد اللائحة الخمسينية التي أعادت للهوتنتوت والبشمن وسائر الملونين حقوقهم المدنية ، فقد ناقشوا فكرة أن هذا التشريع وحده كفيل بإفساد العلاقة بين السيد والخادم أي بين البيض والملونين ، فقد يشجع هذا غير البيض على أن ينظروا لأنفسهم كمساوين للبيض ، وتلك جريمة لا تغتفر ، وأكثر من هذا فأن الحاجة للعمالة السوداء قد تتأثر بسبب هذا التشريع ، فإذا تحرر الملونون أصبح في إمكانهم التحرّك والخروج عن طوع الذين يعملون لديهم ، فتكون النتيجة هي الفوضى وانعدام القوانين ، والتشرد وقلة الأيدي العاملة وضعف سلطة وسيادة ووضع جنس الأسياد وهو الجنس الأبيض ، ولا أحد من البوير يريد هذا الوضع ولا أن يعيش في ظل هذا الظرف لذا أراد عدد كبير منهم أن يرحل لمكان آخر ليكونوا أحراراً في الاستمرار في استرقاق الملونين وتطبيق تفوق الجنس الأبيض (بدالسميع، ٢٠١٤).

د- تحرير الرقيق :

إن نظرية تفوق الجنس الأبيض وتطبيقاتها لا يمكن أن تتعايش أبداً مع سياسة إزالة العوائق من طريق الأفريقيين وغيرهم من العناصر الملونة ، فمثل هذه الفلسفة لا يمكنها فوق كل هذا أن تتواءم مع السياسة الرسمية الجديدة فيما يتعلق بالرقيق ، فقيام بريطانيا بتحرير الرقيق عام ١٨٣٣ في كل أنحاء الامبراطورية البريطانية بما في ذلك جنوب أفريقيا ، كان قد أصبح مصدراً للصدام بين البوير والإدارة البريطانية ، فلم يكن البوير يرون ضرورة تحرير العبيد مما كانوا فيه ، فهذا هو وضعهم الطبيعي والقانوني في الحياة ، وأكثر من هذا فقد كانوا يرون أن تحرير الرقيق سيؤدي إلى فوضى سياسية واجتماعية وتشرد ، والأهم من هذا سيؤدي إلى نقص في الأيدي العاملة ، وسيضطر المزارعون نتيجة لهذا ، لدفع أجور أعلى بينما كانوا في الماضي لا يدفعون شيئاً في حالات كثيرة ، وعلى هذا فقد نظر البوير لتحرير العبيد بسخط وحقد شديدين (خليفة، ١٩٩٢).

إنه اعتراف رسمي بمبدأ المساواة بين الأجناس كما أن القبول بمبدأ كهذا يهدم أسس المجتمع الذي يريد البوير إنشائه والمحافظة عليه ، هذا المجتمع الذي يعتمد في جوهره على سياسة عدم المساواة بين الأجناس ، وضرورة العزل العنصري بينها ، وبصرف النظر عن هذا ، فأن أناساً كثيرين من البيض قد اعتراهم الخوف من أن يضطروا لمنافسة الملونين والعبيد المحررين للحصول على عمل ، بعد فتح باب العمل في أي مكان نتيجة تحررهم وإزالة العقبات والقيود من طريقهم ، وآخرون شجبوا تحرير العبيد مخافة أن يؤدي هذا إلى اختلاط الأجناس بالتزاوج ، وفي الوقت نفسه نظر للعبيد كملكية خاصة لسادتهم ، وعلى هذا فتحريرهم يشكل بالنسبة للسادة خسارة مالية ، حقيقة لقد تم تعويض ملّاك العبيد ، لكن التعويض في جملته لم يكن ليتجاوز ١١,٤ مليون جنيه استرليني ، بينما كانت القيمة الإجمالية الفعلية لعبيد المستعمرة تصل لحوالي ٣ ملايين من الجنيهات الاسترلينية ، وأكثر من هذا فقد كان يتحتم على الفلاحين أو ملّاك الرقيق أن يرفعوا دعاويهم أو تظلماتهم في لندن وهذا أمر صعب ومكلف (رياض، ١٩٦١).

هـ- قضية ولاية (مديرية) الاميرة أديلادي :

رغم أهمية المظالم السابق ذكرها في اتخاذ البوير قرارهم بالهجرة ابتداء من عام ١٨٣٥ إلّا أن أكثر الأسباب مباشرة لهذا الزحف العظيم هو قرار الحكومة البريطانية بإلغاء قرار حاكم المستعمرة دربان بإلحاق ولايتي منطقتي الملكة أديلاديِ "Adelaide" وناتال ، لهذا فقد قدم البوير دعماً لا يستهان به للحاكم دربان أثناء حرب الكافير الشهيرة عام ١٨٣٤ ، فقد البوير جانباً كبيراً من ممتلكاتهم وقتل منهم رهط كثير ، قبل أن يحل السلام بين الطرفين المتقاتلين في ايلول عام ١٨٣٥ ، لذا كان البوير يعتقدون أن أو ولاية اديلادي لهم وملكهم لتقديمهم مساعدات فعّالة للحكومة ، وهم الآن يطالبون بتعويض نظير من السلطات (فليفل ا.، ١٩٨٣).

لقد أستقبل البوير إلحاق ولاية إديلادي بحرارة فائقة ورغبوا في الاستقرار بها كما رأوا أن تحطيم المجتمعات المعادية يمد المستعمرة بمزيد من الأمان ، لقد كان الأمن قضية ملتهبة بالنسبة للبوير طالما هم مقيمون في جنوب أفريقيا ، إذ كان المستوطنون يشكون دائماً من نقص الحماية الكافية التي تقدمها حكومة المستعمرة ، أما الآن فقد بدا لهم أن دربان عازم على قهر وإزاحة الشعب المحلِّي ، وبدا البوير بالنظر بشكاوي المستوطنين البيض التي لاقت من الحكومة آذاناً

صاغية ، فقد أصبح المزيد من الأراضي متاحاً ، والمزيد من الأمن في الطريق (فليفل ا.، ١٩٨٣).

لكن اللورد جلينج Glencg وزير الخارجية في الحكومة البريطانية كان له رأي آخر في الموضوع ، فقد كان جلينج مؤيداً من رفاقه الإنسانيين ضجراً من سياسة دربان معارضاً لكل تعديلاته الحدودية المقترحة ، فقد كان ينظر لسياسة دربان التوسعية كمحاولة منه لإزالة الملونين وإزاحتهم بالاستيلاء على أراضيهم ، ومد الحدود البريطانية لحوالي مائة ميل مما يزيد الرعايا الأفريقيين البريطانيين بالآلاف ، وقد كانت الحكومة البريطانية ممانعة في التصديق على أي إجراء متعلق بالأمن والأمور المالية ، ينتج عنه صراع بين البيض والملونين (Cooper, 1994).

وعلى هذا فعندما عُلم أن الحكومة البريطانية قد تراجعت عن قرارها في إلحاق المناطق الجديدة قرر كثير من الفلاحين (البوير) أن يهاجروا ، فقد شعروا أن الحكومة قد قذفت بهم للحضيض وأنها لن تضعهم في الاعتبار ولن تراعي مصالحهم فلا حياتهم ولا ممتلكاتهم موضع تقدير الحكومة ، وبطبيعة الحال ليس هذا هو السبب الوحيد لحدوث الزحف بمعنى أن هذه الأحداث لو لم تحدث لما حدثت هذه الهجرة ، فرفض الحكومة البريطانية بضم دربان للأراضي الجديدة ليس إلا سبباً واحداً حقيقياً لهذا الزحف التاريخي (Pillay, 2019).

و- الإشاعات :

أضف إلى مظالم البوير ، كثيراً من الشائعات في نفس الوقت ، فإشاعة تقول أنه سيتم إرجاع كل الأراضي للهوتنتوت ، وأخرى تقول أنه سيتم اعتماد الزواج المختلط ، وثالثة تقول أنه سيتم إدخال نظام التجنيد الإجباري ، وأن البوير سيجبرون على التخلي عن الكنيسة الإصلاحية الهولندية ليكونوا بالإجبار أرواماً كاثوليك ، ومع أن هذه الإشاعات كانت مغرضة وبلا أساس ، إلا أن تأثيرها في المناخ السياسي والاجتماعي كان فعالاً ، فقد زادت من حدّة سوء الفهم بين البوير والحكومة ، وأسهمت في تفجر الموقف في خاتمة المطاف (ويدز، ١٩٩٠) .

وقد كان من الواضح عند اتخاذ قرار الهجرة أن البوير لم يعترضوا ضد أي مظلمة من هذه المظالم ، فقد كان الزحف العظيم محصلة نهائية لعديد من المظالم التي طال أمدها ، وعديد من المشاكل الناتجة عن سوء الفهم ، وكما قال مكميلان Mac – Millan وهو على حق في صدد

حديثه عن تصميم بيت ريتيف على الهجرة ، إن شيئاً ما لن يجعلهم يتراجعون عن الهجرة في عام ١٨٣٥ (طاهر، ١٩٧٥) .

" إن الحاكم (اللفتينانت) ، حتى ولو هدَّأ رتيف بوعد محدد مؤداه أن العبيد لن يتم تحريرهم ، والتشريع الخمسيني سيتم استبداله بآخر ، وسيتم تقسيم أراضي كافراريا Kaffraria إلى مزارع ، وسيتم شنق الإرساليين ، وسيتم استئصال كل السود ... إلى آخره ، فلن يقبل رتيف المصالحة ، وكان الزحف (الهجرة) سيتم "، فالاستعداد للزحف كان قد بدأ في بواكير عام ١٨٣٤ ، ففي هذا العام تم إرسال ثلاث مجموعات للبحث عن أماكن للإستيطان المقبل ، وقد اتخذت هذه المجموعات سبلاً في اتجاهات ثلاثة مختلفة : إلى دامارالاند Damaraland فيما يعرف الآن بجنوب غرب افريقيا (ناميبيا) ، وإلى زوتبانزبرج Zoutpansberg فيما يعرف الآن بشمال الترنسقال ، وإلى الناتال ، وفي مطلع ١٨٣٥ عادت فرق البحث هذه بتقارير مشجعة ، فقد كانت الأراضي التي زاروها تتسم بالخصوبة وسكانها قليلون (De, 1995).

ثانياً: نتائج الزحف العظيم :

كان المهاجرون الأول الذين رحلوا قبل تشرين الثاني عام ١٨٣٥ يعرفون إجمالاً بالبوير الزاحفين Trekboers ، لقد كان عددهم قليلاً واستعداداتهم لا يتناسب مع المخاطر المتوقعة ، وقد صدهم سكان وادي لمبوبو Limpopo Valley صداً فعلياً ، ومات آخرون منهم بالحمى ، وكان قائداهم وهما لويس تريجاردت Louis Trigardt وجان فان رنسبرج Jan Van Rensburg ، نادمين في قرراتهم التي افضت الى قيادة مواطنيهم خارج المستعمرة ليواجهوا أخطاراً في أرض مجهولة ، لكن الفلاحين البوير لم يعدلوا عن الهجرة بسبب ما لاقاه رفاقهم من مصاعب ومآس ، وفي بواكير عام ١٨٣٦ عندما عملوا بأن إلحاق مديرية (منطقة) أديلادي قد تم إلغاؤه ، غادر عدد كبير من الزاحفين (المهاجرين) المستعمرة بقيادة أندرس هندرك بوتجيتر Andries Hendrik Potgieter وسارل سيليرز Sarel Cilliers ، وكانت هذه الدفعة هي أكبر دفعة من الزاحفين ، وسرعان ما التحقت بها دفعة كبيرة أخرى في آب عام ١٨٣٦ ، وكانت هذه الدفعة الأخيرة بقيادة جريت ماريتز Gerrit Maritx وكانت تتكون من مزارعين من جراف رينت

Graaff – Reinet ، وقد كان الزاحفون يحملون أمتعتهم على عربات تجرها ثيران ، وعلى هذا فيمكننا القول أنه في عام ١٨٣٦ كانت حركة الزحف العظيم في ذروة نشاطها (Theal, 1997).

ثالثاً: صدام البوير مع النديبيلي Ndebele والزولو Zulu :

لاقى الزاحفون أثناء رحلتهم مقاومة عنيفة من الشعوب المحلية ، ففي عام ١٨٣٦ تصادموا مع النديبيلي بقيادة مزيليكازي Mzilikazi ، وقد هُزم النديبيلي وأجبروا على التراجع عبر نهر لمبولو ، ونتيجة هذا توطن الزاحفون إلى الشمال من نهري الفال والاورانج Vaal and Orange Rivers ، على أن المقاومة كأقسى ما تكون ، قد واجهها الزاحفون من قِبل الزولو في الناتال بزعامة دنجان Dingane ، فذات مرّة قتل الزولو رتيف والوفد المصاحب له بعد فشل المفاوضات الجارية بينهما (الزولو ورتيف) بخصوص الأرض ، فقد تكون الزولو قد جهزوا أنفسهم للدفاع عن أرضهم وسيادتهم ، بينما لم يعد الزاحفون إلى المستعمرة فقد غادروها بغير رجعة ، لهذا كان استمرار الحرب أمراً لا مفر منه(Leonard, 1994) .

وفي المرحلة الأخيرة من الحرب ، كان البوير يحاربون تحت قيادة أندريس بريتوريس Andries Pretorius ، لقد كانوا مصممين على إحراز النصر وأعادوا الهجوم على الزولو ، وأخيراً فإن بنادقهم وتفوق تقنياتهم العسكرية قد مكنتهم من النصر الكامل ، ففي ١٦ كانون الاول ١٨٣٨ كان دنجان ومن معه من الزولو قد هزموا هزيمة كاملة في معركة نهر الدم Battle of Blood River ، وبعد هذا بستة أشهر تنازل دنجان عن جانب كبير من الناتال للزاحفين وفقاً لبنود اتفاقية التسليم في ١٦ كانون الاول عام ١٨٣٨ ، لقد أضحت أيام دنجان بعد هذه الهزيمة معدودة إن لم تكن قد انتهت بالفعل ، وفي الحقيقة فإنه بعد هذا الإذلال لاقاه أضحى منبوذاً من شعبة الذي أغتاله بعد ذلك ، وتولى قيادة الزولو بعد دنجان ، مبانوي Mpande الذي لقى دعماً وتأييداً من الزاحفين بقيادة بريتوريا (Karis, jon).

رابعاً: جمهورية الناتال :

يعد هذا النصر الذي أحرزه الزاحفون على الزولو ، أسسوا دولة جديدة لهم خاصة ، وأسموها جمهورية الناتال ، وتم إنشاء مجلس الشعب Volksraad في بيترمارتسبرج Pietermaritzburg ، ومارس المجلس سلطاته التنفيذية والتشريعية والقضائية كافة ، وكذلك

مارس المجلس سلطات ووظائف مجتمعة لم تعد تمارس هذه الأيام إلا من خلال مؤسسات منفصلة هي : السلطة التشريعية والبرلمان ومجلس الوزراء ، وكان مجلس الشعب هذا يمارس عمله أيضاً كمجلس قضائي وكان مكوناً من ٢٤ عضواً يختارون في كل دورة انعقاد رئيساً لهم ، ولم تعش جمهورية الناتال هذه طويلاً بسبب إصرار الحكومة البريطانية على ضمها للمستعمرة ، وقام البريطانيون بهجوم على جمهورية الناتال في عام ١٨٤٢ ولم يلقوا مقاومة قوية ، وفي العام التالي كانت جمهورية البوير ومجلس الشعب قد انتهيا ، واصبحا خبراً بعد حين ، وبعد ذلك أي في عام ١٨٤٥ ، كانت الناتال إحدى ولايات (مديريات) مستعمرة الرأس (وير ، ١٩٩٨).

وفي هذه الأثناء كان عدد كبير من الفلاحين (البوير) غير سعداء بالحكم البريطاني فرحلوا خارج الناتال ، والتحقوا بالزاحفين (المهاجرين) الآخرين القاطنين في المنطقة الواقعة بين نهري الاورانج والفال ، وحاول الإنكليز في البداية إعادتهم ليكونوا تحت الحكم البريطاني ، وفي عام ١٨٤٨ على سبيل المثال الحق الحاكم هاري سمث Harry Smith المنطقة الممتدة من نهري الفال وأورانج وحتى مرتفعات دراكتربرج Drakensberg بمستعمرة الرأس ، وتلقى البوير هذا الخبر بعدم الرضا بل وقاوموا هذا الإلحاق بمستعمرة الرأس (فليفل ا.، ١٩٩٨).

وبالإضافة لهذا كانت الاحتكاكات والصدامات مستمرة بين البوير من ناحية وجيرانهم من الباسوتو والنديبيلي Basuto and Ndebele من ناحية أخرى ، وكان الأمر يستلزم سياسة إيجابية وفعّالة إذ كانت هناك رغبة في إحلال السلام ، وخاصة وأن الباسوتو كانوا قد أحرزوا نصراً على المستوطنين البيض عام ١٨٥٠ مما أفزع السلطات البريطانية في مستعمرة الرأس ، لقد خشت السلطات البريطانية التأثيرات المحتملة لفقدان الأمن والاستقرار في المستعمرة وبين الجماعات الأفريقية عموماً ، وفي نفس الوقت لم يكن البريطانيون راغبين في تحمل التبعات المالية لمد إدارتهم خارج نطاق الحدود المعدّلة للمستعمرة ، فكل عمل يستلزم مالاً : بناء كيان عسكري قوي ، والتعاطف مع المستوطنين البيض ، والتعاون مع الأفريقيين (ويدز ، ١٩٩٠).

خامساً: ميثاق نهر الرمال عام ١٨٥٢ وميثاق بلومفونتين ١٨٥٤ :

The sand River Convention and the Convention of Bloemfontein :

بعد أن تحقق البريطانيون من أن استمرار الهيمنة على المنطقة يتطلب أموالاً طائلة ، قرروا التخلّي عن البوير المهاجرين ، ووفقاً لميثاق نهر الرمال الموقع عام ١٨٥٢ منحت الحكومة البريطانية البوير القاطنين شمال نهر الفال الحق في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم مع وضع نهاية للتدخل البريطاني في شؤونهم ودون الاقتراب من هذه المنطقة البويرية الجديدة ، وقد اعطى هذا الميثاق الأساس الشرعي لقيام جمهورية جنوب أفريقيا (الترنسفال) رغم أنها لم تستمر طويلاً ، ولقد كان مارتينوس فيسلز بريتوريوس وهو أبن أندريس بريتوريوس هو أول رئيس لهذه الجمهورية عام ١٨٥٨ (Cooper, 1994).

وبعد عامين من إعلان ميثاق الرمال منحت الحكومة البريطانية سلطات منطقة نهر أورانج نفس المزايا ، فوفقاً لميثاق بلومفونتين Bloemfontein عام ١٨٥٤ تمتع المستوطنون البيضفي منطقة نهر أورانج بالاستقلال الكامل وكونوا على الفور دولة الاورانج الحرة Orange Free state (Leonard, 1994).

الخاتمة

لقد نجح البوير إلى حد بعيد في الاحتفاظ بتجمعاتهم حيثما حلّوا موحّدين واضعين نصب أعينهم عدواً مشتركاً ممثلاً في البريطانيين ، وهدفاً موحداً ممثلاً في الاستقلال والحرية بغية الاحتفاظ بقيمهم وتراثهم نقياً ، ففي عام ١٨٥٧ كانت هناك قوى مقسمة تعمل في الجمهوريات الجديدة ، فقد تم تأسيس جمهوريات ثلاثة صغيرة في ليدنبرج Lydenburg وزوتبانزبرج Zoutpansberg وأوترخت Utrecht ليصبح العدد الإجمالي لجمهوريات البوير خمسة ، وبالإضافة لهذا كانت هناك ثلاث مستعمرات بريطانية هي مستعمرة الرأس والناتال وكافراريا Laffraria .

لقد أدى توسيع المستوطنين حدودهم باحتلال الترنسفال والناتال وما عرف بدولة الأورانج الحرة إلى زيادة حدة الصدامات مع الأفريقيين والملونين.

فبمجرد مد الإدارة البريطانية إلى منطقة من المناطق كان حكم الملونين في هذه المناطق الجديدة يقع على عاتق الحكومة البريطانية ، ولم يكن هذا أمراً بسيطاً خاصة عندما كانت تتعارض اتجاهات البوير إزاء الملونين مع السياسة الرسمية للحكومة البريطانية ، فهنا كان يزيد تعقيد ما اشتهر باسم المسألة الوطنية في جنوب افريقيا.

والذي لاشك فيه أن وضع الأفريقيين قد ساء في الأعوام التي تلت الزحف العظيم ، ليس فقط بسبب حدوث نزاعات بين الحكومة والمستوطنين البيض حول قضية معاملة الأفريقيين ، وهي قضية أصبحت الآن أكثر أهمية ، وإنما أيضاً بسبب ما كان يعانيه الأفريقيون من معاملة قاسية في جمهوريات البوير ، وقد اضطرت الحكومة البريطانية لتعديل سياستها لصالح المستوطنين البيض لشعورها بأن سياسة الحكومة التحررية إزاء المسألة العرقية قد أسهمت إلى حد ما في حدوث الزحف (الهجرة) ، وبصرف النظر عن هذا فقد كان تأثير الزحف العظيم على الأفريقيين كبيراً ، فقد فقدوا أراضيهم وثرواتهم واستقلالهم وقتل منهم خلق كثير أثناء مقاومتهم تقدم المستوطنين البيض ، وسنناقش معنى هذا كله تفصيلاً في الفصل الثاني عشر.

المراجع

Cooper, O. J. (1994). *History of Southern Africa.* David Philip.

De, K. C. (1995). *The Imperial factor in South Africa.* Landon .

E. A. Walker, T. (1948). *Adam and Charles Black.* London.

Karis, T. (jon). Grwendlem M. From protest to challenge. *A Documentary History of African politics in south Africa 1882 - 1964*.

Leonard, C. (1994). *Papers on the political situation in South Africa* . Landon.

Pillay, K. (2019). *Indian Identity in South Africa.* The Palgrave Handbook of Ethnicity.

Theal, G. (1997). *Progress of South Africa* . Landon.

احمد طاهر. (١٩٧٥). *افريقيا فصول من الماضي والحاضر*. القاهرة: دار المعارف.

احمد مختار افندي. (١٩٩٠). *رحلة سمو الامير محمد علي باشا في جنوب افريقيا ١٣٤٢ - ١٩٢٤* . القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

اسامة حيمد خليل. (كانون الثاني, ٢٠٢٠). الاختلافات الشعبيه داخل المجتمع الافريقي وأثرها في الحروب الداخلية ١٩٦٠ - ١٩٩٤ (الكونغو) انوذجاً. *مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية*.

السيد علي احمد فليفل. (١٩٩٨). *التاريخ السياسي والعنصري لمستعمره رأس الرجاء الصالح ١٨٥٣ - ١٩١٠* . القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .

السيد علي فليفل. (١٩٨٣). *مستعمرة الرأس البريطاني ١٨٥٣ - ١٩١٠* . القاهرة: معهد البحوث والدراسات الافريقية.

السيدعلي فليفل. (١٩٨٠). *جمهورية جنوب افريقيا ١٨٥٦ - ١٩٠٢* . القاهرة: معهد البحوث والدراسات الافريقية.

آمال علي خليفة. (١٩٩٢). *الحزب الوطني المتطهر ودوره في تعميق العنصريه في جنوب افريقيا ١٩٣٤ - ١٩٥٦* . القاهرة: معهد البحوث والدراسات الافريقية.

بدوي رياض بدالسميع. (٢٠١٤). *الارض والعنصرية في اتحاد جنوب افريقيا ١٩١٠ - ١٩٦١* . القاهرة: دار الوثائق القومية المصرية .

جديون س وير . (١٩٩٨). *تاريخ جنوب افريقيا*. الاسكندرية: دار المريخ.

دونالد ويدز. (١٩٩٠). *اريخ جنوب افريقيا جنوب الصحراء* . القاهرة: مكتبة الوعي العربي.

زاهر رياض. (١٩٦١). *جنوب افريقيا ، دراسية سياسية واقتصادية* . القاهرة: دار المعارف.

فرغلي علي تسن هريدي. (١٩٨٣). *تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر الكشوف - الاستعمار - الاستقلال.* القاهرة : العلم والايمان.

محمد عبدالغني سعودي. (١٩٨٠). *قضايا افريقيا* . الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

المراجع باللغة الانكليزية

Cooper, O. J. (1994). *History of Southern Africa.* David Philip.

De, K. C. (1995). *The Imperial factor in South Africa.* Landon .

E. A. Walker, T. (1948). *Adam and Charles Black.* London.

Karis, T. (jon). Grwendlem M. From protest to challenge. *A Documentary History of African politics in south Africa 1882 - 1964*.

Leonard, C. (1994). *Papers on the political situation in South Africa .* Landon.

Pillay, K. (2019). *Indian Identity in South Africa.* The Palgrave Handbook of Ethnicity.

Theal, G. (1997). *Progress of South Africa .* Landon.

Cooper, O. J. (1994). *History of Southern Africa.* David Philip.

De, K. C. (1995). *The Imperial factor in South Africa.* Landon .

E. A. Walker, T. (1948). *Adam and Charles Black.* London.

Karis, T. (jon). Grwendlem M. From protest to challenge. *A Documentary History of African politics in south Africa 1882 - 1964*.

Leonard, C. (1994). *Papers on the political situation in South Africa .* Landon.

Pillay, K. (2019). *Indian Identity in South Africa.* The Palgrave Handbook of Ethnicity.

Theal, G. (1997). *Progress of South Africa* . Landon.

Tahir, Ahmed.(1975).Africa: Chapters from Past and Present. Cairo. Dar Al-Maaref.

Afendi, Ahmed Mukhtar. (1990) The Journey of His Royal Highness Prince Muhammed Ali Pashain South Africa. 1342-1942. Cairo. National Books and Documents Office.

Khalil, Usama Hemid (January 2020). Popular Differences within African Society and their Effect in Internal Wars. 1960-1994. (Congo) as a Model. Tikrit University Journal for Humanitarian Sciences.

Faleafel, Ahmed.(1998). Political and Racial History of Cape of Good Hope Colony. 1853-1910. Cairo: The Egyptian Office for Publication Distribution.

Faleafel, Ahmed.(1983). British Cape Colony. 1853-1910. Cairo. Institute of African Research and Studies.

Faleafel, Ahmed.(1980). Republic of South Africa 1856-1902. Cairo. Institute of African Research and Studies.

Khalifa, Amal Ali. (1992) The National Purified Party and its Role in Deeoening Racism in South Africa 1934-1956 Cairo. Institute of African Research and Studies.

Abd Al-Samee. (2014) Land an Racism in the Union of South Africa 1910-1961. Egypian National Docunents Office.

Were, Gedion S. (1998) A History of South Africa. Alexandia. Dar Al Marikh.

Wiedner, Donald (1990) A History of Africa South of Sahara. Cairo: Arabic Consciousness Library.

Riadh, Zahir. (1961) South Africa: A Political and Economic Study. Cairo: Dar Al-Maaref

Fargali, Hareedi. (1083) Modern and Contemporary History of Africa Colonization and Independence. Cairo: Science and Faith

Saudi, Muhammed Abd Al- Ghani (1980) Issues of Africa. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Literature.